

غزوة الخندق (الأحزاب)

بعد أن نزل يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، في خيبر، أخذوا يحرضون قريشاً وِعَظْفَان، على اتخاذ الأسباب لاستئصال شأفة المسلمين، والقضاء عليهم، مقابل أن يجعلوا لهم نصف تمر «خيبر» في كل عام، وخرج نفر من اليهود:

سَلَامُ بن أبي الحَقِيقِ النَّضْرِي، وَحَيَّ بن أخطب النَّضْرِي، وكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيقِ النَّضْرِي، وهُوَذَة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، هم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوا إلى قتال رسول الله ﷺ وأصحابه، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم حتى يقضوا على آخر رجل فيهم.

ولما سمعت قريش مقالتهم، قالت: يا معشر يهود! إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ فردت يهود: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه وأجدر، فهم الذين أنزل الله ﷻ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْفَتُوهُ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢] إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥].

وسرت قريش بما سمعت من يهود، ونشطت لما دعوها إليه، من حرب رسول الله ﷺ، فتداعوا إلى اجتماع اتعدوا له، ثم خرجوا - أي يهود -

إلى غطفان، من قيس عيلان، وبحر^١ معهم الأمر ذاته، وأنهم سيكونون معهم على المسلمين، وأن قريشاً تابعتهم على ذلك، وأعطتهم ميثاقها عليه، وخرج «أبو سفيان بن حرب» على رأس قريش، وخرج «عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر» على رأس بني فزارة، وخرج «الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي» على رأس بني مُرّة. وخرج «مسعود بن رُخَيْلَة بن نُؤَيْرَة بن طريف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هلال بن خِلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، على رأس من تابعه من قومه أشجع.

وهكذا اجتمع شمل الكافرين والمشركين، وقد نسوا أن الله مع المؤمنين، وأن حزب الله هم الغالبون، وأن مكر أعدائهم هو يُبور.

وكان رسول الله ﷺ ما ينفك عن مشاورة أصحابه، فلما سمع بما أجمعت عليه قريش من أمرها، والتفاف الأحزاب من حولها، بسط الأمر لأصحابه، وطلب رأيهم فيه، وكان ذلك أول مشهد يحضره «سلمان الفارسي» مع رسول الله ﷺ، وهو حر، فأدلى «سلمان» بدلوه حيثذ، وقال: يا رسول الله! إنا كنا بفارس، إذا حوصرنا خندقنا علينا.

وأعجب رسول الله ﷺ بما طرحه «سلمان» ثم أمر بضرب الخندق على المدينة. وهبّ المسلمون، مشمرين عن سواعد الجدّ، للعمل في الخندق، وكان مما شجعهم على ذلك، مشاركة رسول الله ﷺ لهم، ترغيباً للمسلمين في الأجر، وتمييزاً للمخيث من الطيب، لأن المنافقين الخبثاء أبطأوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في عملهم، وجعلوا يتسللون إلى أهاليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، فراراً من هذا العمل النبيل، أما المسلمون الصادقون، فكانوا إذا نابت أحدهم نائبة من الحاجة التي لا بد منها، ذكرها لرسول الله ﷺ، واستأذنه في المضي إلى حاجته، فيأذن له، فإذا ما قضى حاجته رجع إلى متابعة عمله بكل همة ونشاط، رغبة في الخير، واحتساباً له، واستزادة منه، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ

فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِمَن أَلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ [النور: ٦٢]، فنزلت هذه الآية في كل من أهل الحبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ورسوله ﷺ.

ثم قال تعالى في المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل مستخفين، دون علم ولا إذن من رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لِوَإِذَا فُلِحَ حَذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣ - ٦٤]، قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤] وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له: «جُعِيلُ» وسماه رسول الله ﷺ «عَمْرًا»، فقالوا:

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جَعِيلِ عَمْرًا وكان للبأس يوماً ظهراً
فإذا مروا بعمره قال رسول الله ﷺ: (عَمْرًا)، وإذا مروا بظهره، قال رسول الله ﷺ (ظَهْرًا).

قال ابن إسحاق^(١): [وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون].

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه^(٢): فحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، قال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: خَطَّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة، حتى بلغ المزداء، ثم قَطَّعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة، فاحتقَّ^(٣) المهاجرون والأنصار في

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٤٠).

(٢) تاريخ الطبري (٢/٥٦٨).

(٣) احتقَّ القوم: قال كل واحد منهم: الحق في يدي.

«سلمان» - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: (سلمان ممّا أهل البيت).

فهنيئاً لسلمان ذلك الشرف الذي أصاب! وأي شرف أسمى من أن يجعله رسول الله ﷺ من آل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مُقَرَّن المزني، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا تحت دُو باب حتى بلغنا النّدى، فأخرج الله ﷻ من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا، وشقّت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطّه.

فرقي «سلمان» حتى أتى رسول الله ﷺ، وهو ضاربٌ عليه قبةً تركية، فقال يا رسول الله! بأبينا أنت وأمنّا! خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة، فكسرت حديدنا، وشقّت علينا حتى ما نُحيكُ فيها قليلاً ولا كثيراً، فَمُرْنَا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن تجاوز خطّك، فهبط رسول الله ﷺ مع «سلمان» في الخندق، ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المِغْوَل من «سلمان» فضرب الصخرة ضربةً صدعها، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها - يعني لابتي المدينة، وهما حرّتاها - حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم. فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها، وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ثم أخذ بيد «سلمان» فرقي، فقال «سلمان»: بأبي أنت وأمي! يا رسول الله! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط! فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم، فقال: (هل رأيتم ما يقول سلمان؟) قالوا: نعم، يا رسول الله! بأبينا أنت وأمنّا قد رأيناك

تضرب فخرج برق كالمرج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئاً غير ذلك، قال: (صدقتم، ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني «جبريل» أن أمي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحُفَر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني «جبريل» أن أمي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة، فبرق منها الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني «جبريل» أن أمي ظاهرة عليها، فأبشروا يبلغهم النصر، وأبشروا يبلغهم النصر، وأبشروا يبلغهم النصر!)، فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعِد صادق بار، وعدنا النصر بعد الحصر، فطلعت الأحزاب، فقال المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من «يثرب» قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا، وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن «عمر» و«عثمان» وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده! ما افتتحت من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة، إلا وقد أُعطي «محمد» مفاتيحها قبل ذلك.

قال أبو جعفر، عن ابن إسحاق: كان أهل الخندق ثلاثة آلاف، قال: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة بين الجُرُف وزغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، وأمر بالذراري والنساء،

فجعلوا في الآطام، وخرج عدو الله «حُيَيُّ بن أخطب» حتى أتى «كعب بن أسد القرظي» صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده.

فلما سمع «كعب» بحُيَيِّ بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حُيَيُّ: يا كعب! افتح لي، قال: ويحك يا حيي! إنك امرؤ مشنوم، إني قد عاهدت «محمدًا» فلمست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا، قال: ويحك! افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله! إن أغلقت دوني إلا على جَشِيشَتِكَ - أي؛ ما أغلقت دوني إلا لتمنعني من أكل من طعامك، والجشيش: البرُّ الخشن - أن أكل معك منها، فأحفظ الرجل - أي: أغضبه -، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جثتك بعز الدهر وبيحر طام^(١)، جثتك بقرش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا «محمدًا» ومن معه، فقال له «كعب بن أسد»: جثتي والله! بذل الدهر، وبجَهَام^(٢) قد هراق ماء يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك! فدعني و«محمدًا» وما أنا عليه، فلم أر من «محمد» إلا صدقًا ووفاء! فلم يزل «حُيَيُّ» بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه عهدًا من الله وميثاقًا: لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا «محمدًا» أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض «كعب بن أسد» عهده، وبرى مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ «سعد بن مُعَاذ بن النُعمان بن امرئ القيس» أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس - و«سعد بن عُبادَة بن دُلَيْم» أحد بني

(١) طام: مرتفع - يقصد كثرة الرجال.

(٢) الجَهَام: السحاب الرقيق لا ماء فيه.

ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومعهما «عبد الله بن رواحة» أخو بلحارث بن الخزرج، و«خَوَّات بن جبير»، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: (انطلقوا حتى تنظروا: أحقَّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً، فالحنوا لي لحناً نعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: لا عقد بيننا وبين «محمد» ولا عهد. فشاتمهم «سعد بن عباد» وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدٌ - أي: جدَّة وغضب - فقال له «سعد بن معاذ»: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أَرَبَى - أي: أعظم - من المشاتمة. ثم أقبل «سعد» و«سعد» ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فلموا عليه، ثم قالوا: عَصَل والقارة - أي: كغدر عَصَل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرَّجِيع؛ «خُبَيْب بن عدي» وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين!) وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال «مُعْتَب بن قُشَيْر»^(١) أخو بني «عمرو بن عوف»: كان «محمد» يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط!

وحتى قال «أوس بن قِيظِي» أحد بني «حارثة بن الحارث»: يا رسول الله! إن بيوتنا لعورة من العدو - وذلك عن ملأ من رجال قومه - فأَذَنْ لنا فلنرجع إلى دارنا، فإنها خارجة من المدينة. فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرَّمْي^(٢) بالنبل والحصار.

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٤٥)، قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم: أنه مُعْتَب بن قُشَيْر لم يكن من المنافقين، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر.

(٢) ابن هشام: الرَّمْي: بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الياء، وهي المراماة.

فلما اشتد البلاء على الناس، بعث رسول الله ﷺ كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري - وهما قائدا غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة، ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك، ففعلا^(١)، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى «سعد بن معاذ» و«سعد بن عباد» فذكر لهما واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله! أمر نحبه فنصنعه، أم شيء أمرك الله ﷻ به، لا بد لنا من عمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: (لا، بل لكم، والله! ما أصنع ذلك! إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم^(٢) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم لأمر ما ساعة)، فقال له «سعد بن معاذ»: يا رسول الله! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله ﷻ، وعبادة للأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفنحن حين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: (فأنت وذاك!)، فتناول «سعد» الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم «عمرو بن عبد ود بن أبي قيس» «أخو بني عامر بن لؤي»، و«عكرمة بن أبي جهل» و«هبيرة بن أبي وهب» المخزوميان، و«نوفل بن عبد الله» و«ضرار بن الخطاب بن مرداس» أخو بني محارب بن فهر، قد تلبسوا للقتال، وخرجوا

(١) ففعلا: ليست عند ابن هشام.

(٢) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

على خيلهم، ومَرُّوا على بني كنانة، فقالوا: تهيأوا يا بني كنانة! للحرب، فستعلمون اليوم من الفرسان! ثم أقبلوا نحو الخندق، حتى وقفوا عليه، فلمَّا رأوه، قالوا: والله! إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمّموا مكاناً من الخندق ضيقاً، فضربوا خيولهم، فاقترحت منه، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلْع، وخرج «علي بن أبي طالب» في نفر من المسلمين، حتى أخذ عليهم الثُّغْرَةَ التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُغْنِقُ نحوهم - أي: تسرع - . وقد كان «عمرو بن عبد ود» قاتل يوم بدر، حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق، خرج مُعْلِماً، لِيُرَى مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال له «علي»: يا عمرو! إنك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى خَلَّتَيْنِ إلا أخذت منه إحداهما! قال: أجل!

قال له «علي بن أبي طالب»: فإني أدعوك إلى الله ﷻ، وإلى رسول الله ﷺ، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال. قال: ولم يا بن أخي؟ فوالله! ما أحب أن أقتلك! قال «علي»: ولكنني، والله! أحب أن أقتلك، قال: فَحَمِيَّ «عمرو» عند ذلك، فاقترحم عن فرسه فعقره - أو ضرب وجهه - ثم أقبل على «علي» فتنازلا وتجاولا، فقتله «علي» ﷺ، وخرجت خيله منهزمة، حتى اقترحت من الخندق هاربة، وقتل مع «عمرو» رجلان «مُنَبَّه بن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق بن عبد الدار» أصابه سهم فمات منه بمكة، ومن بني مخزوم «نوفل بن عبد الله بن المغيرة» وكان اقترحم الخندق فتورَّط فيه، فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب! قَتَلْتُمْ أحسن من هذه! فنزل إليه «علي» فقتله، فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، فقال رسول الله ﷺ: (لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه، فَشَانُكُمْ بِهِ) فخلَّى بينهم وبينه.

وكان ممن أصيب من الصحابة يومئذٍ «سعد بن معاذ» زعيم الأوس، أصابه سهم فقطع منه الأكحل، وقد اختلَّف فيمن رماه.

قال محمد بن إسحاق، عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن

عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، ثم أحد بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أم «سعد بن معاذ» معها في الحصن، قالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، قالت: فمر «سعد» وعليه درع مُقْلَصَة - قصيرة - قد خرجت منها ذراعُه كلها، وفي يده حربته يَرْقُدُّ - أي: يسرع - بها ويقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لا بأس بالموت إذا حان الأجلُ
قالت له أمه: الحق يا بُنَيَّ، فقد، والله! أخرت.

قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد! والله! لوددتُ أن درع «سعد» كانت أسبغ مما هي! قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.

قالت: فرُمي «سعد بن معاذ» بسهم فقطع منه الأكلح، رماه - فيما حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة - «جَبَّان بن قيس بن العَرِقة» أحد بني عامر بن لُؤَي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العَرِقة، فقال «سعد»: عَرَّقَ اللهُ وجهك في النار! اللهم! إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وكذبوه وأخرجوه، اللهم! وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمنني حتى تَقَرَّ عيني من بني قريظة: وحدث محمد بن إسحاق عمن لا يتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب «سعداً» يومئذٍ بالسهم إلا «أبو أسامة الجشمي» حليف بني مخزوم، فالله أعلم أيَّ ذلك كان؟.

وذكر ابن هشام في سيرته^(١): ويقال: إن الذي رمى «سعداً» خفاجة بن عاصم بن حَبَّان!

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٥١).

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كانت «صفية بنت عبد المطلب» في فارغ (حصن حسان بن ثابت)، قالت: وكان «حسان» معنا فيه مع النساء والصبيان.

قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان! إن هذا اليهودي كما ترى، يطيف بالحصن، وإنني والله! ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ، فأنزل إليه، فاقتله.

فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا^(١).

قالت: فلما قال ذلك لي، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت - أي: شددت وسطي -، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتله، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان! أنزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب!

(١) قال السهلي صاحب الروض الأنف: [ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن، وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صح هذا لُهجى به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء، كضرار وابن الزبير وغيرهما، وكانوا يناقضون ويردون عليه، فما عيَّره أحد بجبن، ولا وسمه به، فدلَّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح، فلعلة كان معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعه من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول عليه. ومن أنكر أن يكون هذا صحيحاً «أبو عمر» رحمه الله في كتاب «الدرر» له. وعقب على هذا الحديث أبو ذر أيضاً بما لا يخرج عما ذكره السهلي. وقال الزرقاني بعد ما ساق رأي أبي عمر في (الدرر)، واستبعاده هذا على حسان: (ولما كان أولى، لأن ابن إسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند متصل حسن كما علم، فاعتضد حديثه، وقد قال ابن المراج: سكوت الشعراء عن تعيينه بذلك من أعلام النبوة، لأنه شاعره ﷺ) (انظر الحاشية (٢) من سيرة ابن هشام (٣/٢٥٢)).

وأوجس أصحاب رسول الله ﷺ في أنفسهم خيفة من عدوهم، إذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وقد وصف الله - جلّ ذكره - حالهم يومئذ فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هَٰذَا الَّذِي كُنتُمُ تُؤْمِنُونَ ۚ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩ - ١١].

وما كان الله ليتأخر عن نصرة رسول الله ﷺ، وقد تألبت الأعداء عليه، فوجه إليه «نعيم بن مسعود بن عامر» من غطفان بعد أن هداه إلى الإسلام فأسلم، ولما جاءه قال: يا رسول الله! إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال له رسول الله ﷺ: (إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة).

وأتى «نعيم بن مسعود» بني قريظة - وكان نديماً لهم في الجاهلية - فقال: يا بني قريظة! قد عرفت ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً قد جاءوا لحرب «محمد»، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرّون على أن تحوّلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم وبغیره، فليسوا كهيتكم، إن راوا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم «محمدًا» حتى تنجزوه، فقالوا: لقد أشرت برأي ونُضح، ثم تركهم وأتى قريشاً، فقال لهم: يا معشر قريش! قد عرفتم ودي إياكم، وفراقي «محمدًا»، وقد بلغني أمر رأيت حقًا عليّ أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتبوا عليّ، قالوا: نفعل، قال: اعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين «محمد» وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، نعطيكمهم،

فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على مَنْ بقي منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهنًا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم تركهم وذهب إلى غطفان، فقال: يا معشر غطفان! أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونني! قالوا: صدقت. قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّره ما حذّره، فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله ﷻ لرسوله ﷺ أن أرسل «أبو سفيان» ورءوس غطفان إلى بني قريظة «عكرمة بن أبي جهل» في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز «محمداً»، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رُهنًا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقةً لنا، حتى نناجز «محمداً» فإننا نخشى إن ضررستكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تُشَمِّرُوا إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من «محمد».

فلما رجعت الرسل إليهم بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش لغطفان: تعلمون والله! أن الذي حدثكم «نعيم بن مسعود» لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله! لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا، فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم «نعيم بن مسعود» لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك تَشَمَّرُوا إلى بلادهم، وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله! لا تقاتل معكم حتى تعطونا رُهنًا، فأَبَوْا عليهم، وخَذَلَ الله بينهم، وبعث الله ﷻ عليهم الريح في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فَرَّقَ الله من جماعتهم، دعا «حذيفة بن اليمان» فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

وَذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ لِحذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا بَنَ أَخِي! قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، فَقَالَ الْفَتَى: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلِحَمْلِنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا، فَقَالَ حذيفة: يَا بَنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى هَوِيًّا^(١) مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: (مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟) فَمَا قَامَ رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَمَا قَامَ مِنَّا رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: (مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ - أَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟) فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدْءٌ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: (يَا حذيفة! اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تَحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا) قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ، وَالرِّيحُ، وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ وَتَفْعَلُ، لَا تَقْرَ لَهُمْ قَدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً.

فَقَامَ أَبُو «سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ» فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ! لِيَنْظُرْ أَمْرُؤُ جَلِيسِهِ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ^(٢)، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ! إِنَّكُمْ وَاللَّهِ! مَا أَصْبَحْتُمْ بَدَارَ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ^(٣)، وَأَخْلَفْتُنَا بَنُو قَرِيطَةَ، وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ! مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا

(١) الْهَوِيُّ مِنَ اللَّيْلِ: السَّاعَةُ مِنَ اللَّيْلِ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ.

(٢) قَالَ صَاحِبُ (شَرْحِ الْمَوَاهِبِ): (فَضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى يَدِ الَّذِي عَنْ يَمِينِي، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى يَدِ الَّذِي عَنْ شِمَالِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ).

(٣) الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ: الْخَيْلُ وَالْبَعِيرُ.

قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يتمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ ألا أخذت شيئاً حتى آتيه، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة فرجعت إلى رسول الله ﷺ، وهو قائم يصلي في مِرْط^(١) لبعض نسائه مُرَحَّل، فلما رأيته أدخلني بين رجله، وطرح عليّ طرف المِرْط، ثم ركع وسجد، فأذلقته، فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت عطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، فلما أصبح نبي الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

وقد رافق حضر الخندق ظهور عدد من المعجزات، منها: كان «جابر بن عبد الله» يحدث: أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُذْيَةٌ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء ففعل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نفخ ذلك الماء على تلك الكُذْيَةِ، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبياً! لانهالت، حتى عادت كالكتيب، لا ترد فأساً ولا مسحاة^(٢).

أما عن بركة رسول الله ﷺ، فقد تحدث عنها ابن إسحاق، فقال: وحدثني «سعيد بن مينا» أنه حَدَّث: أن ابنة لبشير بن سعد، أخت «النعمان بن بشير» قالت: دعيتني أُمِّي «عمرة بنت رواحة»، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنْيَّة! اذهبي إلى أبيك وخالك «عبد الله بن رواحة» بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقتُ بها، فمررتُ برسول الله ﷺ، وأنا أَلْتَمِسُ أبي وخالتي، فقال: (تَعَالِيْ يَا بَنِيَّة! مَا هَذَا مَعَكَ؟) قالت: فقلت: يا رسول الله! هذا تمر، بعثتني به أُمِّي إلى أبي «بشير بن سعد» وخالتي «عبد الله بن رواحة» يتغديانه، قال: (هَاتِيهِ)، قالت: فصبيت في كَفِّي رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه،

(١) المِرْطُ: الكِسَاء.

(٢) سيرة ابن هشام: (٣/٢٤٠).

فتبَدَّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: (اصرخ في أهل الخندق: أن هَلُمَّ إلى الغداء) فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

وفي حديث آخر، عن جابر بن عبد الله قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شوية غير جد سمينه^(١)، قال: فقلت: لو صنعناها لرسول الله ﷺ! قال: فأمرت امرأتي، فطحننت لنا شيئاً من شعير، فَصَنَعَتْ لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ، قال: فلما أُمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال: وكنا نعمل فيه نهارنا، فإذا أُمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال: قلت: يا رسول الله! إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده، قال: فلما أن قلت له ذلك، قال: نعم، ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت «جابر بن عبد الله»، قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه، قال: فجلس وأخرجناها إليه، قال: فَبَرَكَ وَسَمَّى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، حتى صَدَرَ أهل الخندق عنها.

وروى الإمام مسلم في صحيحه: أن جابر بن عبد الله قال:

لَمَّا حُفِرَ الخندق رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً^(٢)، فانكفأت^(٣) إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن^(٤)، قال: فذبحتها، وطحننت، ففرغت إلى فراغي فقطعتها في بُرْمَتِها^(٥)، ثم وُلِّيتُ إلى

(١) أي: شاة صغيرة غير كاملة السمن.

(٢) خَمَصاً: ضعفاً.

(٣) انكفأت: رجعت.

(٤) الداجن: الحيوان أو الطير الأبيض.

(٥) البُرْمَة: القِدْر.

رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فساررتي، فقلت: يا رسول الله! إني قد ذبحتُ بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ، وقال: (يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع لكم سُواراً فحياً هلاً بكم)، وقال رسول الله ﷺ: (لا تُنزلن برمتكم، ولا تُخَبِرُنَّ عجبتكم حتى أجيء) فجئت، وجاء رسول الله ﷺ يقدّم الناس، حتى جئتُ امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلتُ الذي قلت لي، فأخرجتُ له عجيتنا، فبصق فيها، وبارك، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق فيها، وبارك، ثم قال: (ادعي خابزة فلتخبِزْ معك، واقدحي من بُرمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله! لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتغِطَّ كما هي، وإن عجيتنا لتُخبِز كما هي) [صحيح مسلم: ٢٠٣٩/١٤١].

ويقول جابر: كان عددهم ألفاً أو يزيدون.

ولاعزَوْ - لا عجب - فإنها بركة المصطفى ﷺ حصَّه بها العزيز الحكيم. وروى ابن إسحاق: وقال «علي بن أبي طالب» رضوان الله عليه - بعد قتله «عمرو بن عبد ود» يومئذٍ^(١):

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرتُ ربَّ محمد بصوابي
فصددتُ حين تركته مُتَجَدِّلاً ^(٢)	كالجذع ^(٣) بين دكادك ^(٤) وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو انني	كنتُ المعطَّر بَزْنِي أثوابي
لا تَحْسِبَنَّ الله خاذل دينه	ونبيُّه يا معشر الأحزاب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلِّي بن أبي طالب.

(١) سيرة ابن هشام: (٣/٢٤٨).

(٢) مُتَجَدِّلاً: لاصقاً بالأرض.

(٣) الجذع: فرع النخلة.

(٤) الدكادك: جمع الدكادك: وهو الرمل اللين.

واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة نفر، وهم: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس، وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنمة، وكعب بن زيد، فكانت الجنة لهم نعم المقر.

وبلغ قتلى المشركين ثلاثة، وهم: مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق، وقال ابن هشام: هو عثمان بن أمية بن مُنَبِّه بن عبيد بن السَّبَّاق، ونوفل بن عبد الرحمن بن المغيرة، وعمر بن عبد ود، ودفع المشركون عشرة آلاف درهم ثمن جسد «نوفل» فقال النبي ﷺ: (لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه) وخلق بينهم وبينه.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: (حَمّ، لا ينصرون) وهكذا! نصر الله حزه، فكانوا هم الغالبين، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى المؤمنين شر الظالمين، فله الحمد والمنة، وصلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله إلى يوم الدين.